

عبادة الله والنعمة

رحمة الله الثالث القدوس هي طريق المحبة الإلهية التي انذبحت على الصليب، ليرث بنو البشر، المؤمنين التائبين برجاء الخلاص، ملكوت السماء والسعادة الأبدية.

أحبائي، يُعلّم إله المحبة يسوع المسيح أنّ ملكوت الله الذي في قلوبنا يُرشدنا إلى عيش الفضائل الإلهية والمسيحية، وبالأخصّ أعمال الرحمة المجانية تُجاه المحتاج والتي تكون مُوجّهة في الأساس إلى يسوع شخصياً. فكلّ من يسير طريق الرحمة هذه يحظى بالمكافأة العظمى، أي بميراث الملكوت السماويّ الذي زرعه يسوع في القلوب المؤمنة به وبشخصه كإله وإنسان، وكمرسلٍ من لدن الآب السماويّ بقوة الروح القدس. فإذا ما نظرنا إلى نصّ مثل الدينونة العظمى الذي نُليّ على مسامعنا، نجدّه نصّاً يتحدّث عن مصير الإنسان وفقاً لإيمانه بالله وأعمال الرحمة والمحبة التي يعملها، بالإضافة إلى الكشف عن أنّ الله في أقانيمه الثلاثة هو إله الرحمة والدينونة على السواء.

أحبائي، يُمثّل ابن الإنسان الأثوم الثاني من الثالث الأقدس، أي الله المُتجسّد يسوع المسيح. ويكشف لنا يسوع ابن الإنسان في كلامه أمام تلاميذه في آخر عظة له عن نهاية الأزمنة التي تليها نهاية العالم، والتي تلاها على مسمعهم قبل بدء آلامه الخلاصية مباشرة حين اجتمع أحرار اليهود وشيوخهم وتأمروا عليه، يكشف عن أنّه مُرسلٌ من عند الآب السماويّ لكي يُحقّق تدبيره في خلاص بني البشر من النار الأبدية المُعدّة لإبليس وجنوده. وكان يسوع يُحقّق هذا التدبير الخلاصيّ بقوة الروح القدس الذي وُهبَ للرسل الأمناء يوم العنصرة، فتحوّلوا إلى رُسُلٍ إله الرحمة والمحبة والسلام. فابنُ الإنسان يسوع المسيح الآتي ليدين الأحياء والأموات، فتح أماننا من قلبه الأقدس، بحُبّه الإلهيّ المذبح على الصليب لنا ولأجلنا، باب رحمته الإلهية المسكوبة علينا من عند الآب السماويّ، لكي يحلّ الروح القدس وإلهاماته نخطو خطوات الرحمة والمحبة التي فصّلها يسوع في إنجيل اليوم. فما هو المطلوب من أبناء الله الرحوم المحبّ البشر قبل حلول يوم الدينونة العظمى؟

أحبائي، مطلب الحُبّ الإلهيّ منّا هو مطلبٌ بسيطٌ جداً، وليس فيه غموض. وهذا ما يراه كثيرون في هذه الأيام صعب التحقيق، لأنّ هموم الحياة تأكلهم بشكلٍ تدريجيّ وخفيّ. ولكن رحمة الله عظيمةٌ عظم جوهر الله القدوس، وتلتمس بالمقابل توبةً من المؤمنين لتسكب عليهم هذه الرحمة الإلهية. فالله يدعو إلى الإيمان به أولاً وبرحمته اللامتناهية، لأنّ الإيمان مُلازمٌ للمحبة، والمؤمن بالله يُحبُّ الله ويقبل رحمته ويعمل بها. ثمّ يدعو لعيش هذا الإيمان بمحبةٍ ورجاء، أي بالانخراط في أعمال الرحمة تُجاه كلّ مُحتاجٍ. وهنا، يجب علينا أن لا نقرأ مطلب يسوع حرفياً، لأنّ الحرف يقتل الحقيقة، بل علينا أن نقرأ ذلك بالروح الذي يحيي الحقيقة ويُقدّسها لثمر ثمار رحمة تليق بمجد الله وتخلّص النفوس. قد تقولون ما هذا الذي يقوله هذا الكاهن، كلامه صعب وغير مفهوم. اعذروني، طريقتي بشرح مغذى إرادة الله، تشدّني دائماً إلى كلامٍ يليقُ بالله ويدخلُ القلوب التي تجتهد في سماع كلام الله ولا تتذمّر منه ولا تستعجل لينتهي! فمن هو أوّل مُحتاجٍ برأيكم؟ هل هو فقير المال الذي يرغب أن يقتني أجمل سيارة

وأفضل سيلولير وأحدث كمبيوتر...؟! أَلَا نَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَسَائِلَ التَّكْنُولُوجِيَّةَ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ بِشَكْلِ فَاسِدٍ وَشَرِيْرٍ عَلَى الْأَغْلَبِ هِيَ الَّتِي تُسَبِّبُ كُلَّ الْمَآسِي وَالضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ الَّتِي نَشْهَدُهَا فِي مُجْتَمَعِنَا الْمَعَاصِرِ، وَبِالْأَخْصِ فِي تَدْمِيرِ عَائِلَاتِنَا الَّتِي هِيَ كَنِيسَةٌ صُغْرَى؟! لَدَرَجَةِ أَنَّ الْحَوَارِ قَدْ انْفَقَدَ بَيْنَ أُنْبَاءِ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ، الَّذِينَ أَصْبَحُوا يَتَوَاصَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِوَاسِطَةِ أَلِ "وَائِسِ أَبِي"، مِنْ غُرْفَةٍ إِلَى غُرْفَةٍ، أَوْ حَتَّى مِنْ كُرْسِيِّ إِلَى آخَرَ فِي الْغُرْفَةِ عَيْنِهَا! هَلْ هَذَا هُوَ الْمُحْتَاجُ، أَمْ أَنَّهُ فَقِيرُ الرُّوحِ الَّذِي يَفْتَقِدُ إِلَى مَعْرِفَةِ إِرَادَةِ اللَّهِ الْآبِ فِي حَيَاتِهِ، وَالَّذِي يَجْهَلُ الْمَسِيحَ الْفَادِيَّ وَطَرِيقَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ بِوُجُودِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الْوَاهِبِ الْحَيَاةَ وَالنِّعَمَ السَّمَاوِيَّةَ؟

أَحْبَائِي، رَحْمَةُ اللَّهِ انْسَكَبَتْ عَلَيْنَا فِي إِنْجِيلِ الْيَوْمِ، مِنْ خِلَالِ ابْنِ الْإِنْسَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بِمَحَبَّتِهِ يُعَلِّمُنَا إِعْطَاءَ طَعَامِ كَلِمَةِ إِنْجِيلِهِ وَفَرَحِ إِنْجِيلِهِ وَأَسْرَارِ وَتَعْلِيمِ كَنِيسَتِهِ الصَّحِيحِ، فِي حِينِهِ وَفِي غَيْرِ حِينِهِ، وَلَكُلِّ مَنْ يَحْتَاجُ وَيَتَشَوَّقُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْخَلَاصِيَّةِ. أَيْضًا رَحْمَةُ اللَّهِ انْسَكَبَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي بِمَحَبَّتِهِ يُحَفِّزُنَا وَيُلْهَمُنَا وَيَقُودُنَا لِعَيْشِ تَعْلِيمِ يَسُوعَ وَمَنْحِ هَذَا التَّعْلِيمِ لِمُحْتَاجِيهِ، فِي كُلِّ لِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِ حَيَاتِنَا. كَذَلِكَ، رَحْمَةُ اللَّهِ انْسَكَبَتْ عَلَيْنَا مِنْ لَدُنِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي بِمَحَبَّتِهِ يُبَارِكُنَا لِقَبُولِنَا نِدَاءَ ابْنِهِ الْوَحِيدِ فِي عَيْشِ الرَّحْمَةِ فِيمَا بَيْنَنَا كَبَشْرٍ مَخْلُوقِينَ عَلَى صُورَةِ ابْنِهِ وَمِثَالِهِ، وَلطَوَاعِيَّتِنَا لِإِلْهَامَاتِ رُوحِهِ الْقُدُوسِ وَأَمَانَتِنَا الْكَامِلَةِ لِإِرْشَادَاتِهِ. فَنَعْلَمُ بِشَكْلِ دَقِيقٍ وَنَهَائِيٍّ وَثَابِتٍ، أَنَّ طَرِيقَ الْمَلَكُوتِ السَّمَاوِيِّ هُوَ طَرِيقُ عِبَادَةِ اللَّهِ الْمَحَبَّةِ، أَيْ الثَّلَاثُ الْأَقْدَسِ، وَذَلِكَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ وَبِرَفْضِ الْبَحْثِ عَنِ مَلَذَّاتٍ وَشَهَوَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةِ وَالزَّائِلَةِ. فَنَفْسِنَا الرَّحْمَةَ الْمَحَبَّةَ هِيَ طَرِيقُنَا إِلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ الْحَنُونِ وَالرَّحِيمِ الَّذِي يَقُودُنَا لِمُشَاهَدَةِ اللَّهِ الْمَحَبَّةِ. وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، رِبَاطِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ، هُوَ الَّذِي يُرْشِدُنَا لِعَيْشِ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ طَرِيقُنَا إِلَى نَبْعِ الْمَحَبَّةِ أَيْ قَلْبِ يَسُوعَ الْأَقْدَسِ الَّذِي سَكَبَ عَلَيْنَا رَحْمَتَهُ وَدَعَانَا قَائِلًا: "تَعَالَوْا، يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (مت 25: 34). وَالرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُنْسَكَبَةُ عَلَيْنَا بِالْحُبِّ الْإِلَهِيِّ مِنْ قَلْبِ يَسُوعَ الْأَقْدَسِ هِيَ طَرِيقُنَا إِلَى رَحْمَةِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي يُبَارِكُنَا بِمَحَبَّتِهِ الْأَبُويَّةِ وَبِرَحْمَتِهِ الْعَظْمَى وَيُدْخِلُنَا إِلَى مَلَكُوتِهِ السَّمَاوِيِّ وَفَرَحِهِ الْأَبَدِيِّ. وَالرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُنْسَكَبَةُ عَلَيْنَا مِنْ لَدُنِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ هِيَ طَرِيقُنَا الْوَاضِحُ وَالْأَمِينُ لِلتَّلَاحُدِ النَّهَائِيِّ بِالْحُبِّ الْإِلَهِيِّ عِنْدَمَا يُقَالُ لَنَا: «هُوَلَاءِ هُمْ الْآتُونَ مِنَ الضِّيقِ الشَّدِيدِ، وَقَدْ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوهَا بِدَمِ الْحَمَلِ! لِذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ، يَعْبُدُونَهُ فِي هَيْكَلِهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ سَيُظَلِّلُهُمْ بِخِيْمَتِهِ، فَلَا يَجُوعُونَ بَعْدُ، وَلَا يَعْطَشُونَ بَعْدُ، وَلَا تَلْفَحُهُمُ الشَّمْسُ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لِأَنَّ الْحَمَلَ الَّذِي فِي وَسْطِ الْعَرْشِ سَيَرعَاهُمْ، وَيُورِدُهُمْ إِلَى يَنَابِيْعِ مِيَاهِ الْحَيَاةِ، وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ» (رؤ 7: 14-17) وَيُبَلِّسُهُمْ كُلَّ جِرَاحَاتِ الْحُبِّ فِي قُلُوبِهِمْ.

أَحْبَائِي، يَقُولُ الرَّسُولُ بُولَسُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ: "أَطْلُبُوا السَّلَامَ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ، وَالْقِدَاسَةَ الَّتِي لَنْ يُعَايِنَ الرَّبُّ أَحَدٌ بِدُونِهَا" (عب 12: 14)، أَيْ لِنَعِيشِ الرَّحْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَالْمَحَبَّةَ الْمَسِيحِيَّةَ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ لِكِي نَغْدُو مِنْ عِدَادِ الْأَبْرَارِ وَالصَّدِيقِينَ فَنُعَايِنَ اللَّهَ الرَّحِيمَ الْمُحِبَّ الْبَشَرَ فِي أَقَانِيمِهِ الثَّلَاثَةِ، مُتَّحِدِينَ بِحُبِّهِ الْإِلَهِيِّ مَعَ مَرْيَمِ الْبَتُولِ أَمْ الرَّحْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ، فَزِنْفَعُ لَهُ الْمَجْدَ وَالشُّكْرَ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، آمِينَ.